البير والأولاد

هذه الحكاية مستوحاة من الحكايات التقليدية المستخلصة من التراث التونسي لجزيرة قرقنة ، وهي جزء من سلسلة من الحكايات الجديدة حول الماء في المغرب العربي (الجزائر ، المغرب وتونس) .
كُتِبَت هذه الحكاية من طرف مجموعة من النساء المتطوعات في إطار ورشة الكتابة التشاركية التي نظمها مشروع "حكواتيات مغاربيات : فاعلات التغيير للحفاظ على الماء" ، وذلك في مارس 2017 م بقرقنة .
ساهمت السيدات رجاء علوش ، فاطمة بشيخة ، أم الزين بنعامر ، اسمهان بن حميدة ، رحمة بن حميدة وعايدة قشوري في كتابة هذه الحكاية ، تحت تأطير الدكتور عبد الرحمان أيوب .

رسم : نادية ذهب
قام بتتبع إنجاز هذه الحكاية السيدات ماريا آنا رودريغيز و كيريتي روجاني (الوكالة الألمانية للتعاون الدولي) وليليا بنزيد (مرصد الصحراء والساحل) .
تعود محتويات هذا المنشور إلى مسؤولية الوكالة الألمانية للتعاون الدولي ومرصد الصحراء والساحل .
هذا المنشور للاستخدام غير الهادف للربح ، وبالتالي لا يمكن بيعه .

Le présent conte est inspiré des contes traditionnels tirés du patrimoine tunisien des Iles Kerkennah et fait partie d'une série de nouveaux contes sur l'eau au Maghreb (Algérie, Maroc, Tunisie). Il a été écrit avec un groupe de femmes bénévoles dans le cadre d'un atelier de rédaction participative organisé par la mesure « Conteuses du Maghreb, actrices du changement pour la préservation de l'eau » en mars 2017 à Kerkennah.
Encadrées par Dr Abderrahman Ayoub, Mmes Raja Allouche, Fatma Bechikha, Omezzine Ben Amor, Ismahène Ben Hamida, Rahma Ben Hamida et Aida Kachouri, ont contribué à la rédaction du conte.

Dessin : Nadia Dhab
Le suivi des travaux de réalisation du présent conte a été assuré par Mmes Maria Ana Rodriguez et Kirité Rugani (GIZ) et Lilia Benzid (OSS).
Le contenu de la présente publication relève de la responsabilité de la GIZ et de l'OSS. Cette publication est destinée à un usage non lucratif, et ne peut donc être vendue.

Publié par :

Deutsche Gesellschaft für Internationale Zusammenarbeit (GIZ) GmbH
Siège de la société : Bonn et Eschborn
Coopération Régionale pour une gestion durable des Ressources en Eau au Maghreb
Bureau de la GIZ à Tunis
B.P. 753, 1080 Tunis-Cedex
T + 216 31 39 39 20- 31 39 39 21
F + 216 71 84 62 53

En coopération avec
l'Observatoire du Sahara et du Sahel, OSS
Boulevard du Leader Yasser Arafat
BP 31 Tunis Carthage
1080 Tunisie
T: (+216) 71 206 633/634
F: (+216) 71 206 636
www.oss-online.org

Sur mandat du
Ministère fédéral de la Coopération économique et du Développement (BMZ)
Division Afrique du Nord, Politique en Méditerranée
Postfach 12 03 22
53113 Bonn, Allemagne
T +49 228 99 535 - 0
F +49 228 99 535 - 3500
poststelle@bmz.bund.de
www.bmz.de

Une version numérique de chaque conte rédigé au cours de ce projet peut être téléchargée sur www.oss-online.org

البير والأولاد

coopération allemande
DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT

giz Deutsche Gesellschaft für Internationale Zusammenarbeit (GIZ) GmbH

OBSERVATOIRE DU SAHARA ET DU SAHEL

Février 2018

يا سادة يا مادة، يدلنا ويدلكم للخير والشهادة. أيّ اتوحدوا الله و خير الكلام لا اله إلاّ الله محمد رسول الله.

ـخرافتنا اليوم على الماء. وربّي يقول : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَ شَيءٍ حَي﴾.

يا سيدي يا بن سيدى، يحكيو على مرا (إمرأة)، إسمها للة عيّشة، سلسة، طويلة، جميلة، الزين عليها منصوب، صاحبة ذراع, وْكيما يقولو دْوَامْ الْحَالْ مِنْ المُحَالْ وِالِّي عْطَى مَا بعْطِيشْ بِكْمَالُو، بَعْدْ سْنِينْ مَاتْ رَاجِلْهَا، وخَلّاَلهَا ثلاثة صغار، وسانية كبيرةْ في وسط الغابة، فيها الخيرات السَّبعةْ. أمَا معندهاشي، لاَ شِيشْمَهْ وَلاَ مَاء جَارِي، الْمَاءْ اِلِّي تْنُوبْ بِيهْ السَّمَاء تُشْرْبُو لُوطَى وِيِضِيعْ وْمَا يَلْقَاشْ آشْ كُونْ يِسْتْغَلُّو، وْيِنْفَعْ بِيهْ الشْوِيهَاتْ وِالشَّجْرَاتْ. وْفِي هاكْ السانيه، أبْيَارْ مَحْفُورَه مِنْ زْمَانْ الْجْدُودْ، وِالنَّشْعْ بْعِيدْ ما يوصل الماء من قاع البير إلاّ بجُهْد جَهيدْ والعيون إلّى تعطي الماء، كيف ما نقولوا، في سابع أرض.

المرا، من الصباح، منين تقوم، وهي قايمة حاطّة، بين الغريسات، والشويهات، والدجيجات، اطّلع في الماء، تسقي وتشرّب في هاك الحِيوان. لاَ تْكِلْ وْلاَ تْمِلْ مِنْهَا رَاجِلْ وْمِنْهَا مْرَا. الفلاحة، حياتها منها، قوتها وقوت صغيراتها.

وْكِيفْمَا بَرْشَهْ أُمَّاتْ رْضَاتْ بِالتْعَبْ بَاشْ تْرَتَّحْ وْلِيدَاتْهَا، لِلَّهْ عِيشَهْ، دَلْلِتْ هَاكْ الصْغَيْرَاتْ، وْحَبِّتْ تعَيشّهم مْدَلْلِينْ. وْمَا عَلْمِتْهُمْشْ الْحْذَاقَهْ في الماء. وما قراتش حساب غدوة، وكيف ما تعرفوا اليدّ وحدها ما تصفّقش، والواحد ماذا بيه العِّينه. ومع الأيام كثرت الخدمة، ورزن عليها الحمِّلْ.

وما تكمّل تسقي غريساتها وزويلاتها، إلاّ ما كل غديرة تشرب ماها، وْكُلْ شْجِيرَه تِتْسْقَى، وْيِتِمْلاَ حُوضْهَا بِالْمَا وِتْبَاتْ رَاوْيَهْ. ومن تعبيّة الماء من البير، ولاّت عيشة تهدّت.
أيَّ نرجعوا لهاك لوليدات، وكيف ما يقول المثل « الدلال يخلف الهبال ». كبروا مْعَ لَيَّمَاتْ، أمّا العقل يجيبو ربّي. « الطول طول صابة، والعقل عجرودة ». النهار وما جاب النهار، وهوما يلعبوا. إلّى يجي قدامهم يرميوه في البير حَتَّى وَلَّى مْصَبْ مْتَاعْ فَوَاضِلْ، وِتْدَرْدِرْ الْمَاءْ، وْكُثْرِتْ فِيهْ الحَشَرَاتْ، وْمَاعَادِشْ صَالِحْ للشُّرْبْ. وِلِّي يْغِيضْ أَكْثَرْ هُوَّ الْمَاءْ إِلِّى أمّهمْ شَاقْيَه عْلِيه، وِلِّي هُوَّ نِعْمَه مِنْ عَنْدْ رَبِّي، وَلاَّوْ يَلَعْبُوا بِيهْ، أُمْهُمْ تملا من العين، وهوما يفيّيوا فيه.

وزاده ما يهمهمش في هاك البير، نظيف، مسّخ، كل حاجة تجي في إيدهم يرموها فيه ! أيَّ، بالله، هاك البير آشْكُونْ ما زال يشرب منو ؟

آشْ تعمل لله عيشة كي تضيق بيها الدنيا، وْيُكْثِرْ عْلِيهَا التُّخْمَامْ ؟ تقعد بجنب البير، وتشكلو همّها. آش تقولو ؟ « راني حرت وحار دليلي ! آش نعمل في صغاري؟ آك تشوف حتى إنت يا بير، إلى منّك حياتي وحياة السانية, ما سلمتش منهم، مَا يَعْرْفُوشْ يِسْتَحْفْظُو عْلَى الْمَا، وْزَادُو مَسْخُوهْ، وِنْخَافْ لاَ يْجِي نْهَارْ، وْتِتْسَدْ فِيهْ الْعْيُونْ، وْنَبْقَاوْ أَحْنَا وِشْوِيهَاتْنَا وِشْجِيرَاتْنَا لِلْعْطَشْ!». البير، نهار من النهارات، نطق. قال لها : « يا للة عيشة، الصغار ما عليهمش مْلامْ. كان جيت للحقّ، إنت هي السبب !». « كيفاش ؟ »، قالت لو. جاوبها : « إِنْتِ سْكِتْ عْلِيهِمْ وْدَلِّلْتْهُمْ. وْمَاعَلِمِتْهُمْشْ قِيمَةْ الْمَاءْ، وَقَدَّاشْ عَنْدِي، وَآنَا نْرَا فِيهُمْ يِبَذْرُو فِيهْ، وْمَا نْخَبِّيشْ عْلِيكْ غَايِضْنِي بَرْشَا هَا الْحَالْ، آمَ توّ صار الوقت باش ترجعهم للثنيّة. ». جاوبتو للة عيشة : « على يدِيك إن شاء الله نلقاو الخير».

أيّ هاك البير، نهار من النهارات، جات وردة بنت للة عيشة مع خواتها، قعدوا على فمّ البير ياكلوا ويشربوا، و كل شي يفضل في الصحن، يْلِمُّوه كِيمَا جَا، ويبزّعوه في وسط البير. هوما هكّ، يسمعوا في هدير يرغي كالجمل، نـقـزوا من بحذى البير، ويشوفوا في الماء طالع طالع، هات ما عندك، حتّى غمّ الكل .هكك ويسمعوا في صوت غليظ، لا عرفوه لا صوت إنس وإلاّ صوت جان، خارج من قاع البير. تْفَجْعُو الاولاد وِبْدَاوْ إِجْرِي... إِجْرِي...

وهاك الماء لاحقهم. السانية الكل تغمّت بالماء. ما عادش عندهم وين يهربوا، ولا وين يمشيو، ولا وين يجيو. هاك الأولاد يشوفوا في هاكِ الزبلة إلي لوحوها في البير طافة على الماء. قال البير : « أنا توّ نجّم نغرقكم، آمَ هاذي المرة باش نسامحكم. هاكِ الزبلة إلى لوحتوها فيّ سدّت عيوني، ومايَ ما عادش حلو ولا نظيف، لا ينفعْ لاَ لِيكُمْ وْلاَ لِزْوَايِلْكُمْ. نهارْ منْ النهاراتْ تموتُوا بالعْطشْ. ». قالوا لو : « سامحنا غلطنا، وما عادش نعاودوا صنعتنا. برك قول لنا آش يلزم نعملوا ؟». جاوبهم : « باهي، ها المرة باش نسامحكم. آمَ، أولا، تمشيو تطلبوا السماح من أمّكم، وثانيا، تصيروا تسمعوا كلامها وتعاونوها. وقت اللعب لعب، ووقت القضية قضية. ومن اليوم ولمدّة شهر إنتوما إلّى باش تسقيو الشجر والحِيوان. كل واحد سطيّل يكفي. وسطيّل زاده يكفي باش تغسلوا اطرافكم تحت الدالية حتى تكون عنبتها ها السنا راوية. الحذاقة في الماء باهية، وما نزيدش نفّهمكم ونعلّمكم قيمة الماء، إلي ربي جعل منو كل شيء حي، وْإِذَا انْتُومَا مَا عْرَفْتُوشْ تِتْصَرْفُو فِيهْ مَا عَادِشْ يَبْقَى حَتَّى شَيْ حَيْ، هَّيَا تَوَّ قَبَلَ مَا يْفُوتْ الْفُوتْ، وْتْنْدْمُو عْلَى الْوَقْتْ اِلِّي ضَيَّعْتُوهْ، مِنْ الْيُومْ يِلْزِمْكُمْ تِتْعَلْمُو، وِتْطَبْقُو عَادَاتَ جْدِيدَه كِي تِتْعَامْلُو مْعَ الْمَاءْ". !

قعدوا هاك الصغيرات يخزروا لبعضهم وهوما يشوفوا في هاك الماء راجع بالتوالي — آه البير ولّى يشرب في روحه !—، وهاك الزبلة إلّي رماوها فيه منشرة في السانية. يغزروا لبعضهم، وطبسوا يلمّوا في زبلتهم. الأوّل إلّي هز راسو يشوف في أمّو واقفة، الفرحة مالية وجهها.

رجعولها، طلبوا منها السماح، وكيما يقول المثل : « الحلفه ما تطيب كان بالرزام !»، و« القرنيطه ما تطيب كان بدقّان الكرناف !».

وحكايتي حكيتها، وبعوينتي ما ريتها.
وحكايتنا شقّت الغابه، وكلّ عام اتجينا صابه.